مجلة كليّة

الدعوة الإسلامية

مجلّة إسلاميّة - ثقافيّة - جامعة - محكمة

العدد التاسع

1992 م.

نظرة جديدة في منهج المرحلة الأولى من التعليم الأساسي

الدكتور عمر بشير الطوبي
جامعة السابع من ابريل - الزاوية - الجماهيرية العظمى

يتناول هذا البحث تقديم تصور جديد لأهداف ومحتوى المنهج الخاص بالمرحلة الأولى من التعليم الأساسي.

وهذا التصور جديد من حيث أفكاره وغاياته آخذاً في الاعتبار خصوصية ظروف الطفل العربي الليبي، وكذلك خصوصية الأمة العربية الفكرية والاجتماعية والثقافية. ذلك أن أغلب المناهج والمقررات الدراسية الخاصة بالمراحل التعليمية المختلفة سواء في الجماهيرية أو في بقية أقطار الوطن العربي تقوم في الوقت الحاضر على أساس تقليد النظم التربوية الأجنبية بصورة مباشرة أو غير مباشرة. ويرجع هذا التقليد إلى حماسة الطلاب العرب الذين تلقوا تعليمهم العالي في تلك البلاد، وانبهارهم بالإنجازات العلمية التقنية فيها، واعتقادهم بأن الأهداف والنظم والنماذج والتطبيقات العلمية هي واحدة في جميع أنحاء العالم، أو هكذا يجب أن تكون، سواء أكانت تتصل بالجوانب المادية أو الإنسانية. وقد تناسى هؤلاء الدارسون العائدون من الخارج أن المعرفة العلمية والخبرة الإنسانية ليست قوالب

جامدة قابلة للمصداقية والتطبيق بنفس الدرجة في أي بلد، بل هي عوامل حية بقدر ما ترتبط بقوانين الكون، فإنها تُتنفس روح الأمة وثقافتها في أي مكان تنتقل إليه.

وهكذا فإن المعرفة في أي بلد تتشكل تطبيقاتها جسداً له معالمه وأهدافه ونظمه التي لها لونها الخاص ونكهتها الخاصة.

وكما هو ملاحظ، فإن هذه الخصوصية لا تتوقف فقط عند أعتاب العلوم الإنسانية، بل تتعداها إلى العلوم الطبيعية والتطبيقية المادية على حد سواء. فكل قطر له ما يناسبه من مساكن، ومواصلات وملابس، ومآكل، وآلات، وأدوية على الرغم من وجود قاسم مشترك من المبادىء العلمية النظرية والتجريبية.

وكما يتبين من الدراسات التربوية المقارنة فإن نظام التعليم في كل بلد هو ليس معرفة علمية فقط، بل هو نظام يعكس الطابع القومي بأحلامه وأمانيه وهمومه ومشكلاته وخصوصياته الطبيعية الإنسانية والثقافية والسياسية. وهكذا فإن التقليد الأعمى لنظم التعليم الأجنبية فلسفة وأهدافاً وهيكلاً والذي سار فيه الوطن العربي منذ الأربعينات من هذا القرن قد جلب على التعليم العربي كوارث وصعوبات بقدر ما جلب عليه فوائد ومكاسب. ويشرح هذا البحث واحدة من المشكلات التي يعاني منها التعليم العربي في تقليده الأعمى للنظم التعليمية الأجنبية وهي في ما يتصل بأهداف ومنهج ومقررات المدرسة الابتدائية، وبالخصوص ما يهم تدريس المهارات الأساسية للتعليم وهي القراءة، والكتابة والحساب وغرس بذور المعتقد الديني الإسلامي، وتنمية مشاعر الانتماء القومي.

تحديـــد المشكلـــة:

لقد بني نظام التعليم في ليبيا منذ تأسيسه في الخمسينات على صورة نظام التعليم في مصر، والذي هو بدوره كان هجيناً مختلطاً بدرجات متفاوتة من النظامين الإنكليزي والفرنسي. فكانت سنة القبول في المدرسة الابتدائية خمس سنوات، ثم صارت ست سنوات. وكانت سنوات الدراسة في المدرسة الابتدائية ست سنوات، وبعدها خمس سنوات في المدرسة الثانوية، ثم أصبحت هناك رياض

الأطفال، والمدارس الخاصة والعامة، وانقسمت المدرسة الثانوية بعد ذلك إلى مرحلتين هما (أ) المدرسة الإعدادية ومدتها سنتان، (ب) الثانوية ومدتها ثلاث سنوات، تلاها بعد ذلك تحوير على المدرسة الإعدادية لتصبح ثلاث سنوات، ثم أصبحت المدرسة الثانوية أربع سنوات، وهكذا. وفي كل هذا التغير والتبدل لم تكن المبادرة عربية بقدر ما كانت محاكاة لما كان يجري في البلاد الأجنبية.

وبخصوص موضوع بحثنا هنا فإن التقليد القائم على المحاكاة غير الواعية قد ظهر واضحاً في التذبذب بشأن الطريقة المناسبة لتدريس اللغة العربية في المدرسة الابتدائية. فكانت الطريقة الجزئية، ثم أعقبتها الطريقة الكلية، ثم حدثت عودة إلى الطريقة الجزئية وفي تدريس الحساب وغرس المفاهيم الرياضية كانت الطريقة المعروفة بالطريقة التقليدية، ثم بدأ تطبيق الطريقة المعروفة بالرياضيات الحديثة، والآن بدأنا نسمع ونقرأ بعض النداءات للعودة إلى الطريقة القديمة، لا لشيء إلّا لأن الغرب قد بدأ يتشكك في الرياضيات الحديثة وبشأن انتقال التلاميذ من صف إلى آخر في المدرسة الابتدائية انتقلنا من نظام الامتحانات إلى نظام الترحيل المفتوح فإلى نظام الترحيل المشروط، إلى المطالبة المتزايدة بالعودة إلى نظام الامتحانات بدءاً من الصف الأول.

وهكذا بنفس الإيقاع كان التغيير يحدث في المواد الأخرى التي يدرسها تلميذ مرحلة التعليم الأساسي بالحذف والتبديل والإلغاء والإرجاع.

والمشكلة التي يتصدى هذا البحث لمناقشتها هي بيان ما يلزم أن يتعلمه تلميذ المدرسة الابتدائية في الصفين الأول والثاني وأهمية اتقان المهارات الأساسية في تعلم اللغة العربية وأثر ذلك على التحصيل المعرفي في جميع المواد الدراسية بعدئذ، والصلة القوية بين تعلم اللغة العربية وتلاوة القرآن الكريم، وترغيب الطفل في التعلق بدينه الإسلامي وانتمائه القومي. وتتم مناقشة الموضوع بتحليل أبعاد المشكلة، وتقديم الحل المناسب لها، مع ذكر المبررات التي يستند إليها هذا الحل كتصور جديد لمنهج المرحلة الأولى من التعليم الأساسي.

مظاهـر المشكلـة:

من خلال نظرة إلى إنجاز طلابنا في الثانـويات والجـامعات من حيث التحصيل العلمي، والتعبير اللغوي، ووضوح التفكيـر، والمسلك الاجتماعي يتضح أن أغلب هؤلاء الطلاب يعانون بعض الصعوبات التي كان من المفروض أنهم قد تغلبوا عليها يوم كانوا تلاميـذ في مرحلة التعليم الأساسي ويمكن تحديد هذه الصعوبات في المظاهر التالية:

1 ـ عدم اتقان المهارات الأساسية في تعلم اللغة العربية وهي القراءة والكتابة والاستيعاب. فالأخطاء الإملائية تتصل حتى بـأبسط الكلمات بسبب اضطراب الطلاب في فهم قواعد النطق والكتابة، وعدم اكتسابهم للحس الإيقاعي للتنغيم الصوتي للحروف والكلمات والمعاني. وبذلك تجد طلاباً كثيرين يتعاملون مع المفردات وكأنها خطوط ميتة لا تتكون من حروف وحركات ومعاني ترتبط فيما بينها بقواعد محددة تبعث فيها الحياة. إنهم يتعاملون مع المفردات وكأنها رسوم تعبيرية كما هو الحال في مفردات اللغة الصينية. كما يعجز الطلاب عن قراءة نص معين قراءة واضحة تعكس عدم استيعابهم للمعنى الموجود في الجمل والفقرات التي يتكون منها النص.

2 ـ تذمر الطالب الثانوي والجامعي وشعوره بالقلق والارتباك عندما يطلب منه أحد قراءة نص معين بصوت مرتفع لعدم ثقته في نفسه لغوياً. ذلك أنه لا يميز بداية الجملة عن نهايتها، ولا المبتدأ من الخبر، ولا يعطيك المعنى الذي يحتويه النص.

3 ـ العجز عن التعبير المناسب (الإنشاء) بسبب محدودية رصيد المفردات اللغوية عند الطالب. وبذلك تجد الطلاب يعتمدون في دراسة المواد العلمية على الحفظ النصي للمقرر الدراسي بدون الاستيعاب الواضح للمفاهيم. كما يتذمر هؤلاء الطلاب كثيراً عندما يطلب منهم الأستاذ تقديم بحث مكتوب حول قضية من قضايا الاختصاص.

4 ـ عدم إظهار الطالب ما يفيد قدرته على التذوق اللغوي في التعبير وبذلك

تجده يكره المذاكرة، ولا يظهر عليه ما يدل على استمتاعه بالقراءة والاطلاع.

5 ـ لجوء أغلب الطلاب في جميع المراحل إلى الغش في الامتحانات بدرجة كبيرة، وبدون شعورهم بالإحراج أو الخطأ، ليس لأنهم لا يملكون القدرة العقلية على التعلم والفهم، بل لأنهم لا يملكون القدرة اللغوية على استنباط المعنى في المادة الدراسية.

وعليه يجدون أنفسهم مدفوعين إلى الغش وكأنهم يدفعون باللوم عنهم بعيداً إلى معلمي مرحلة التعليم الأساسي.

6 ـ عدم اتقان أغلب الطلاب الأسلوب المناسب لتلاوة القرآن الكريم وتحسس معانيه، واستشعاره جمال التعبير البلاغي والسياقي لمعانيه بحيث تجد الطالب منهم يقرأ القرآن الكريم وكأنه يقرأ جريدة أو كتاباً في الجغرافيا.

7 ـ ضعف التحصيل العلمي في المواد الدراسية بسبب الضعف اللغوي كأهم أسبابه ومعوقاته.

8 ـ تخوف الطلاب في الإعدادية، والثانوية من دراسة مادة الرياضيات والنظر إليها وكأنها عقدة العقد، وأحجية الأحاجي لا لشيء إلّا لأنهم درسوها مشوشة في مرحلة التعليم الأساسي، وفي الوقت نفسه لم يكونوا مستعدين من حيث النضج المعرفي لاستيعاب المفاهيم الرياضية المجردة.

9 ـ تعبير الطلاب في الثانوية والجامعات عن اتجاهات سلبية نحو ما يعرف بالمقررات العلمية الأساسية، وإظهار قدر كبير من الصعوبة في التعامل مع هذه العلوم وذلك لاعتمادها المفاهيم الرياضية.

10 ـ عدم استيعاب الطلاب في الثانويات والجامعات المفاهيم الفكرية والأبعاد التطبيقية للنظرية الجماهيرية في تنظيم المؤسسات الاجتماعية القائمة على السلطة الشعبية والديمقراطية المباشرة. ولا شك أن عدم الاستيعاب هذا يعود إلى عجز الطلاب عن الاعتماد على أنفسهم في القراءة والاطلاع، واعتمادهم على السماع فقط لما يقوله الآخرون.

كذلك فإن فهمهم لما يسمعونه هو فهم مشوش لأنهم غير قادرين على تتبع ما يسمعون بصورة ذهنية منظمة وبإحساس لغوي مناسب.

11 ـ عدم استيعاب الطلاب في الثانوية والجامعة للخصائص والمفاهيم الاجتماعية للمواطنة الصالحة القائمة على الاحترام المتبادل، والإحساس بالمصلحة المشتركة، والتعاون، والتخلص من الأنانية، والتضحية من أجل المجموع، والتوسط في إشباع الدوافع والحاجات الفردية.

إن ما يظهره عدد كبير من الشباب من عدم اكتراث ولا مبالاة بتلك القيم يعود في أغلبه إلى ضعفهم اللغوي الذي يجعلهم يكرهون الدراسة والاطلاع، ومعايشة ما يقرؤونه وما يسمعونه من معلميهم من توعية وتوجيه.

12 ـ عدم إظهار طلاب الثانوية والجامعات الحماس اللازم للتعليم، وذلك ببذل أقل جهد في طلب العلم، واعتمادهم الكلي على المعلم في العملية التعليمية، ومقاومة أي محاولة من المعلم لغرض إقحامهم في عملية التعلم.

أسبـــاب المشكلـــة:

يمكن القول بأن مشكلة الضعف اللغوي والتحصيلي للطلاب في مختلف المراحل تعود في الأعم الأغلب إلى الأسباب التالية:

1 ـ تدريس اللغة بطريقة غير سليمة، وبتركيز أقل مما يجب وذلك في الصفين الأول والثاني من التعليم الأساسي. هذا مع الإشارة بأن الكتب المستخدمة منذ عامين لتعليم اللغة العربية في المدارس الليبية تعتبر من أفضل الكتب المتوفرة لهذا الغرض في الوطن العربي. ولكن مما يحد من فعالية استخدام هذه الكتب هو أن المعلمات والمعلمين الذين يقومون بتدريسها هم أنفسهم لا يفهمون طريقة ومنطق هذه الكتب لأنهم عندما كانوا صغاراً درسوا اللغة العربية بالطريقة الكلية المستعارة من اللغة الإنكليزية ولذلك فإنهم يعانون ضعفاً لغوياً، وفاقد الشيء لا يعطيه كما يقولون.

2 ـ عدم تعلم تلاميذ الصفين الأول والثاني القرآن الكريم بقواعد التلاوة

الخاصة به، في الوقت الذي يبدؤون فيه تعلم القراءة والكتابة على الرغم من العلاقة الوثقى بين القرآن واللغة العربية.

3 ـ إرهاق تلميذ الصفين الأول والثاني من التعليم الأساسي بدراسة الحساب في صورة مملوءة بالتكرار المرهق والممل لمفاهيم مجردة يعجز الطفل عن استيعابها بحكم نضجه العقلي.

4 ـ إن نسبة لا بأس بها من التلاميذ يدخلون المدرسة وأعمارهم خمس سنوات بحيث يكونون في هذه السن عاجزين عن التعامل مع الرموز سواء أكانت لغوية أو رقمية.

5 ـ قيام أغلب المدارس بسبب قلة الوعي التربوي بتكليف أضعف المعلمين والمعلمات علمياً وتربوياً بتدريس الصفوف الأولى والثانية من مرحلة التعليم الأساسي، فيكون هؤلاء المعلمون والمعلمات نماذج سيئة لغوياً وعلمياً.

6 ـ عدم إدراك بعض الموجهين وظيفتهم الفنية والتربوية يجعلهم يلزمون المعلمين والمعلمات بالتقيد الحرفي بالتوجيهات المكتوبة والتي عادة لا تنطبق مع ظروف كل صف. وهذا القيد يمنع المعلم والمعلمة من أي مرونة وحرية في تطويع طرق التدريس بما يناسب التلاميذ ويحقق الهدف.

حـل المشكلـة:

لا شك أن حل المشكلة يتطلب اتخاذ عدة خطوات وتدابير بحيث يمكن تجاوز أغلب العوامل المؤدية إلى وجودها.

وعليه يمكن حل المشكلة القائمة بتنفيذ الإجراءات التالية:

1 ـ رفع سن الدخول في المدرسة الابتدائية إلى سبع سنوات بدلاً من ست سنوات، ولا بأس من أن تصبح مدة الدراسة في المدرسة الابتدائية خمس سنوات بدلاً من ست سنوات.

2 ـ يتم التركيز في الصفين الأول والثاني على تعليم اللغة العربية بالطرق

والأساليب المناسبة للغة العربية وليست تلك المستعارة من اللغة الإنكليزية أو الفرنسية أو غيرهما. مع التركيز كذلك على تعليم القرآن الكريم بحيث يكون عاملاً أساسياً على تعويد أذن التلميذ لنغم اللغة العربية وجمالها في التعبير (إضافة طبعاً إلى غرس بذور الإيمان والحب لكتاب الله في نفسية التلميذ على المدى البعيد).

3 ـ إضافة إلى تعليم الطفل في الصفين الأول والثاني تعليماً منهجياً مهارات اللغة العربية والقرآن الكريم، يتم تقديم الطفل إلى أنشطة وألعاب يتعلم من خلالها بدون تدريس رسمي مفاهيم العد، والتعاون، وملاحظة البيئة الطبيعية والعلاقات الاجتماعية، وآداب السلوك.

4 ـ يبدأ تعليم الحساب تعليماً منهجياً اعتباراً من الصف الثالث الابتدائي، وذلك لقدرة التلميذ في هذه السن على استيعاب المفاهيم البسيطة وباستدلالات عينية في البداية مع الانتقال التدريجي للأمثلة المجردة.

5 ـ الارتفاع بالمستوى التربوي والعلمي للمعلم وذلك باشتراط الحصول على المؤهل الجامعي، مع ضرورة اجتياز المتقدم للعمل كمعلم امتحاناً في اللغة العربية على الأقل تقوم به أمانة التعليم. إن مجرد حصول الطالب على المؤهل الجامعي يجب ألاّ يكون كافياً لدخوله سلك التدريس على أي مستوى. الجامعة تعد الخريجين، أما جهات العمل والتوظيف فيجب أن تكون لها معاييرها ومقاييسها التي تختار بها من يعمل معها.

6 ـ الارتفاع بالمستوى التربوي والعلمي لمديري المدارس الابتدائية. كما يجب أن يكون المستوى التربوي والعلمي والتنظيمي هي المعايير الأولى التي يتم على أساسها اختيار مديري المدارس حتى يكونوا نماذج إيجابية في مؤسساتهم للمعلمين والتلاميذ على السواء.

المبررات العملية لهذا الحل المقترح:

يمكن إجمال المبررات العملية لهذا التصور المقترح في النقاط التالية:

1 ـ نحن بلد عربي مسلم جماهيري حر، وهو ما يعطينا شخصيتنا وثقافتنا

وأهدافنا التي تميزها عن كل شعوب الأرض، بما تحمله هذه الخصوصية من مشكلات وصعوبات خاصة أيضاً. ومن هنا فإنه في بناء نظامنا التربوي ومعالجة مشكلاته يجب أن ننهج نهجنا الخاص بخبرتنا الذاتية ورصيدنا المعرفي واجتهادنا العلمي، وأن نبتعد عن التقليد للدول الأخرى، لأن لكل مجتمع ظروفه وإمكانياته ومعطياته الثقافية والاجتماعية. ولذلك فإنه أخذاً في الاعتبار طبيعة لغتنا وعلاقتها بالقرآن الكريم وأهمية هذا الكتاب في حياة المسلم وضعف المستوى العلمي والتربوي لمعلمينا في المدارس الابتدائية، وصعوبة وصول التلاميذ الصغار إلى المدرسة أحياناً، فإنه لا بأس من اختيار المنهج الذي يناسبنا، وتنظيم نظامنا التربوي بالكيفية التي تلائمنا.

2 ـ إتاحة الفرصة لكل طفل لينمو النمو النفسي والاجتماعي والجسمي السليم وذلك عن طريق:

(أ) جعل الطفل يبقى تحت رعاية الأسرة أطول فترة ممكنة.

(ب) إعطاء الطفل الفرصة لكي يلعب ويلهو على سجيته أطول فترة ممكنة بدون انشغال بالقلم والكراسة.

(جـ) إتاحة الفرصة للطفل لتحقيق نضج ونمو معرفي أكثر لضمان النجاح في التعامل مع الدروس في المدرسة عندما يدخلها وعمره سبع سنوات.

(د) تجنيب الطفل أية آثار وصدمات نفسية واجتماعية وحتى جسمية قد تصيبه عندما يلتحق بالمدرسة وعمره ست سنوات أو أقل.

(هـ) إلغاء أثر اختلاف المستوى الثقافي للوالدين إذ إن أغلب أولياء الأمور لا يستطيعون تقديم المساعدة التعليمية في مواد الدراسة لأطفالهم مما يجعل الطفل الذي يدخل المدرسة وعمره سبع سنوات في غير حاجة لمساعدة والديه في أغلب الأحيان.

3 ـ توفير الجهد للمعلم والتلميذ في الصفين الأول والثاني بحيث ينشغل الاثنان في تعلم مهارات اللغة العربية وتلاوة القرآن الكريم فقط، وتخصيص الوقت الباقي إلى الأنشطة الاجتماعية والتثقيفية والترويحية عن طريق الألعاب الفردية

والجماعية. وهنا تلزم الإشارة إلى أن بقاء الطفل في المدرسة يجب ألاّ يزيد عن ساعتين ونصف في اليوم الواحد ولمدة خمسة أيام أسبوعياً.

4 ـ التركيز على تحقيق المهارات الأساسية للتعليم في المرحلة الأولى من التعليم الأساسي وهي تعليم الطفل مهارات اللغة العربية (القراءة، والكتابة، والمحادثة، والاستماع، والفهم) وكذلك مهارة قراءة كتاب الله، وإتقان المهارات الأساسية للحساب، إضافة إلى تحقيق الأهداف الأساسية لهذه المرحلة (سيتم تفصيل هذه الأهداف فيما بعد).

5 ـ احترام الأسس التي تقوم عليها أهداف التعليم في المرحلة الأولى من التعليم الأساسي (سيتم تفصيلها فيما بعد).

6 ـ قطع الطريق عن الأعذار التي يحتمي وراءها عدد غير قليل من مديري مدارس التعليم الأساسي ومعلميها ومعلماتها حيث يلقون باللوم دائماً على:

(أ) صغر عمر التلاميذ.
(ب) صعوبة المنهج.
(جـ) عدم تعاون أولياء الأمور بسبب جهلهم أو تقصيرهم.
(د) عدم توفر الوقت الكافي لاستكمال الدروس في وقتها المقرر.

إن هناك اعتقاداً بأن كثيراً من المعلمات والمعلمين والمديرين يفتقرون إلى الجدية والضبط والالتزام إزاء واجباتهم التدريسية والإشرافية في أخطر مرحلة في حياة الطفل حاضراً ومستقبلاً.

المبررات النظرية لهذا المقترح

بشأن أهداف المنهج الجديد:

إن المنهج الحالي الخاص بالمدرسة الابتدائية (والذي يدرسه الطفل وعمره خمس سنوات أو ست سنوات ولمدة ست سنين) قد تكون فيه:

(أ) مضيعة لجهد الطفل ووقته بانغماسه في مفاهيم مجردة لا يفهمها.

(ب) بعث الملل في نفسية التلميذ لتعامله المتكرر مع نفس المفاهيم والمعلومات في أكثر من سنة دراسية واحدة بدون تحقيق إضافة في البناء المعرفي للتلميذ.

(جـ) نمو مشاعر سلبية لدى التلميذ نحو المدرسة إلى الدرجة التي قد تقوى فيها هذه المشاعر وتتحول إلى رفض لاشعوري إلى كل ما تقوم به المدرسة من جهد تعليمي.

ولذلك أجد لزاماً عليّ توضيح ما أراه من أهداف خاصة بالمرحلة الأولى من التعليم الأساسي لجميع السنوات وذلك بما يتمشى مع التصور الذي قدمته للمواد الدراسية في الصفين الأول والثاني.

إن أهداف التعليم في المرحلة الأولى من التعليم الأساسي حسب اعتقادي يجب أن تكون على النحو الآتي:

1 ـ التربية المعرفية، وهي اتقان التلميذ المهارات الأساسية للتعلم وهي القراءة، والكتابة، والفهم، والتعبير بلغته العربية، وكذلك اتقان المبادىء الأساسية للحساب.

2 ـ التربية القومية، وهي الاعتزاز بالانتماء إلى الأمة العربية، وكذلك الإيمان بالدين الإسلامي، والإحاطة بالقرآن الكريم وإتقان تلاوته.

3 ـ التربية السياسية، وتتضمن أن يكتسب الطفل الإحساس بالانتماء الاجتماعي، والترابط الإنساني القائم على صلة الرحم، والقربى مع العائلة والقبيلة وبقية أفراد المجتمع العربي الليبي. وكذلك اكتساب المفاهيم الأساسية في صورتها البسيطة للخصائص الثورية والتنظيمية والاقتصادية المميزة للمجتمع الجماهيري والمستندة إلى مبادىء النظرية العالمية الثالثة.

4 ـ التربية الاجتماعية، وتعني اكتساب الطفل فكرياً وعملياً أنماط السلوك الاجتماعي في المواقف والعلاقات الاجتماعية في المأكل والملبس والمشرب وآداب الحديث، والتوافق الاجتماعي، والتذوق الجمالي، واحترام الآخرين والإحساس بالتعاون والتآزر الاجتماعي.

5 ـ التربية النفسية، وتتناول الأمور التالية:

(أ) التعبير الانفعالي الإيجابي المناسب للمواقف الحياتية المختلفة.

(ب) تنمية الطفل مفهوماً إيجابياً عن ذاته، وقبوله لهذه الذات والثقة فيها.

(جـ) الاطمئنان النفسي القائم على انسجام الشخصية في حاجاتها ودوافعها.

(د) تنمية القدرات والاستعدادات الذهنية والفنية والجسمية لزيادة الكفاءة في الأداء والإنجاز.

(هـ) التفاعل الإيجابي مع المشكلات الشخصية والحياتية، وأخذ المبادرة في مواجهتها، وحل هذه المشكلات بصورة ناجعة.

وهكذا يتبين أن أهمية المرحلة الأولى من التعليم الأساسي يجب أن تتركز حول تشكيل عجينة شخصية الطفل بما ينسجم مع مجتمعه، وزرع بذور شخصية المواطن الصالح فيه أكثر من أهميتها في حشو ذهن هذا الطفل بمعارف ومعلومات معرفية مجردة لا يفقه أغلبها أو لا يرى فيها فائدة مباشرة له. وهنا تلزم الإشارة إلى أن أغلب الجهد التدريسي في هذه المرحلة هو جهد عملي وممارسة وذلك عن طريق الأنشطة المختلفة أكثر منه قراءة في الكتب.

بشأن سن الدخول إلى المدرسة:

كما ذكرت بإيجاز سابقاً فإن أفضل سن لدخول الطفل المدرسة في مجتمعنا هي سبع سنين بحيث يكون الطفل قد بلغ القدر المناسب من النمو المعرفي والاجتماعي، وبذلك يكون قادراً على استيعاب الدروس، والتعامل الإيجابي مع رفاقه ومعلميه، وإدراك قواعد النظام والتفاعل داخل المدرسة. وفي هذه الحالة يكون اعتماده على والديه في أقل قدر ممكن، وعليه فمن كان والداه غير قادرين على مساعدته لا يعانى مشكلات تذكر فى تعلمه.

إن دخول الطفل وعمره خمس سنوات أو ست سنوات المدرسة معناه وضع الطفل في سباق هو غير مستعد بعد للاشتراك فيه. وإذا عانى الطفل الفشل في المدرسة الابتدائية وخاصة في سنواتها الأولى فإنه حين يصل عمره عشر سنوات تنهار ثقته، وتتحطم حوافزه، ويأخذ في التطابق مع الفشل[1].

إن الإسراع في النمو المعرفي لدى الطفل وإقحامه مبكراً في المدرسة يؤدي إلى تعلم سطحي بدلاً من تحقيق تعلم حقيقي. أرى أن الأطفال يعطون إجابة لأسئلة تشابه الأسئلة التي تعلموها، ويكونون غير قادرين على حل مشكلات وأسئلة تطبيقية جديدة[2].

وهذا هو الحال الذي عليه أغلب الطلاب في الجامعات الليبية وهكذا يتصرف أغلب الأساتذة فيها.

وقد بينت دراسات (بياجيه)، وتلك التي جرت على منواله بأن الطفل الذي عمره 5 إلى 7 سنوات غير قادر على القيام بالعمليات العقلية سواء كانت في صورتها المادية أو صورتها المجردة. والعملية العقلية بهذا المعنى هي القدرة على استيعاب الفكرة ونقيضها[3].

وعليه فإن تلاميذ الصفوف الثلاثة الأولى في المدرسة الابتدائية غير قادرين على تعلم المفاهيم التي تتجاوز ظروف بيئتهم المباشرة، ومداركهم الحسية. ولذلك ذهب (هافجهرست) في قائمته المعروفة بمتطلبات النمو إلى القول بأن بحوثه قد بينت أن أهداف النمو المعرفي في المرحلة الأولى من التعليم الأساسي هي اكتساب المهارات الأساسية للتعلم وهي القراءة والكتابة والحساب فقط[4].

ويذهب بعض التربويين إلى أن تعريض الطفل للتعليم المبكر يؤدي إلى

---

(1) و. جلاسر (مدارس بلافشل) ترجمة محمد منير مرسي، القاهرة، عالم الكتب، 1978 م.

(2) C.Kamii and L.Dermon «The Engelmann Approach to Teaching Logical Thinking» in D.R.Green et al. eds. Piaget and Measurement N.Y.: McGraw-Hill, 1972.

(3) J.Piaget: Science of Education and the Psychology of the Child. N.Y.: Grossman, 1970.

(4) R.Harighurst. Developmental Tasks and Education. (2nd ed.) N.Y.: Longmans, Green, 1952.

ضياع الجهد بالنسبة للطفل والمعلم دون فائدة وكذلك يؤدي أيضاً إلى فقدان الطفل الرغبة في التعلم، واكتسابه اتجاهات سلبية نحوه. فالطفل الذي يفشل في أداء الواجبات المدرسية يشعر بعدم الثقة والإحباط. ويطلق على هؤلاء الأطفال وصف «التلاميذ المحروقين معرفياً» حيث يتملكهم شعور بالعجز عن التحصيل المعرفي[5].

إن السنوات الحرجة التي يركب فيها الطفل قطار النجاح أو قطار الفشل تقع بين سن الخامسة والعاشرة. والفشل يمكن تحاشيه أو منعه خلال هذه الفترة إلى أقصى حد ممكن وذلك عن طريق تأخير تقديم الطفل إلى الدروس النظرية والمجردة قدر الإمكان، ومنها تأخير دخول الطفل إلى المدرسة عند سن السابعة.

إنه إذا تجاوز الطفل سن العاشرة وقد ركب قطار النجاح فإن الضمان كبير من أنه لن يواجه الفشل النفسي والدراسي معاً في المستقبل[6].

وإذا تجرع الطفل بين الخامسة والعاشرة كأس الفشل المفروض عليه في قضايا ومفاهيم لا تهمه ولا يستوعبها عقله الطفولي فإنه سيبقى في فكره ذلك الفشل طول عمره، ويهجر طريق الحب وتقدير الذات في علاقاته وتتحكم في سلوكه عواطفه الطفولية المضطربة.

كذلك بينت الدراسة التي قام بها (زايك) بأن 75٪ من الأطفال الذين عمرهم خمس سنوات لا يتحقق عندهم النمو العصبي للعين والذي يسمح بتتبع الرموز بحيث لا يستطيعون الربط بين ما يرونه وما يفهمونه منه[7].

وفي دراسة قام بها (هوسن) وجد أنه كلما دخل التلاميذ مبكراً إلى المدرسة كانت اتجاهاتهم أكثر سلبية نحو المدرسة. كما أن كلفة تعليم الأطفال مبكراً ليس لها ما يبررها ما دام أثرها غير ذي جدوى من الناحية المعرفية والاجتماعية. ذلك أن

---

(5) D. Elkind. «Pre School Education-Enrichment of Instruction» Childhood Education (1969). 312-328.

(6) و. جلاسر، مصدر سابق.

(7) A.Brenner «Readiness for School and Today's Pressures» In the 12th Interinstitutional Seminar in Child Development. Waldeuwood, Conference Center, Edison Institute, 1967.

الدراسات قد أظهرت بأن الأطفال الذين يواجهون صعوبات في التعلم وهم في المدرسة الابتدائية لا يستفيدون من الدروس التعويضية التي يحصلون عليها وهم كبار.

ذلك أن من يدخل المدرسة صغيراً يكون استعداده قليلاً ويبقى تحصيله الدراسي قليلاً أيضاً والذي يدخل المدرسة كبيراً يكون استعداده كبيراً ويستمر تحصيله كثيراً في المدرسة بعد ذلك[8].

وهكذا يتضح أن دخول الطفل للمدرسة الابتدائية وعمره سبع سنوات، وبقاءه للدراسة فيها خمس أو ست سنوات يجعله يستفيد أكبر قدر من المعلومات والمفاهيم. ويكون الطفل كذلك أكثر تعاوناً وتجاوباً مع المعلمات مما يعود بالتشجيع عليهن ويحثهن على مزيد من الجهد والعطاء. إن اكتساب الطفل للمعلومات العلمية قبل سن السابعة لا يعني اكتسابه للمفهوم العلمي الـذي تحتويه. إن التعليم الذي يتم في المدرسة يحتاج إلى قدرة الطفل على استيعاب القواعد الخاصة بالمادة التي يدرسها والقدرة على تطبيق هذه القواعد. إنه من الأفضل على هذا الأساس تأخير التعلم الرسمي إلى سن السابعة حيث يكون الطفل قادراً على استيعاب هذه القواعد.

إن التعليم الذي يحصل عليه الأطفال وهم أكبر عمراً يكون أكثر كفاءة وذلك عند مقارنتهم بمن هم أصغر سناً[9].

بشأن مقررات المنهج المقترح:

بطبيعة الحال، لا يمكن الحديث هنا بالتفصيل عن منهج المرحلة الأولى من

---

(8) T.Husen «International Study of Achievement in Mathematics» Vol.2. Uppsala, Sweden: Almquist and Wiksells, 1967.

(9) C.J. Baer «The School Progress of Underage and Overage Students» Journal of Educational Psychology, 49 (1958): 17-19.
J.Hall «Does Entrance Age Affect Achievement»? Elementary School Journal, 63 (1963): 391-396.
F.Tyler «Issues Related to Readiness» In E.Hilgard ed. Theories of Learning and Instruction 63. Yearbook, Part I, N.S.S.E.

التعليم الأساسي، ولا عن المقررات التي يحتويها. غير أنه يمكن التعرض إلى المبادىء العامة والمؤشرات الرئيسية التي تحكم هذا المنهج وفقاً للتصور الوارد في هذا البحث. وعليه يمكن تقسيم منهج المرحلة الأولى من التعليم الأساسي في صورة عامة إلى حلقتين اثنتين هما الحلقة الأولى وتشمل الصفين الأول والثاني، والحلقة الثانية وتشمل الصف الثالث والرابع والخامس. وتكون مقررات الدراسة في كل حلقة على النحو الآتي:

أولاً ـ الحلقة الأولى:

ويدرس فيها التلميذ اللغة العربية بكل مهاراتها مع القرآن الكريم ولا ينتقل التلميذ إلى الصف الثالث إلّا إذا حقق الحد الأدنى من الاتقان لتلك المهارات. وإلى جانب هذين الموضوعين يتم إدماج الطفل في ألعاب وأنشطة عملية لغرض إكسابه مفاهيم مبسطة حسابية وعلمية واجتماعية وقومية وسياسية، ومساعدته على النمو النفسي السليم، دون تقديمها له في شكل دروس منهجية.

وفي هذه المواضيع الأخيرة لا يؤدي التلميذ امتحاناً، ولا تؤثر درجة إنجازه فيها على انتقاله إلى الصف الثالث.

ويعود التركيز في الحلقة الأولى على تعلم اللغة وتلاوة القرآن الكريم، واكتساب بقية المفاهيم الأخرى سلوكياً للأسباب التالية:

1 ـ إنَّ الفترة الحرجة لتعليم اللغة القومية هي ما بين عامين وثلاث عشرة سنة من عمر الفرد. وبمعنى آخر، فإن الطفل يكون مستعداً نفسياً وعقلياً إلى اتقان المهارات الأساسية للغته القومية بداية في البيت وانتهاء بالمرحلة الأولى من التعليم الأساسي. وإذا تجاوز الطفل هذه السن ولم يتقن المهارات الأساسية في استخدام اللغة فإن الاحتمال كبير بأن يبقى معوقاً في ذلك طول عمره.

2 ـ إنَّ هناك علاقة قوية متبادلة بين إتقان اللغة والنمو العقلي عند الطفل إذ بينت دراسات كثيرة أن الطلاقة اللغوية تساعد على مرونة التفكير ونموه، كما يساعد الذكاء أيضاً على النمو اللغوي للتلميذ. وإذا حدثت إعاقة لأي منهما فإنه

ينتج عنها بالتالي إعاقة في الجانب الآخر. فالذكاء الابتكاري يقوم على أساس خمس جوانب:

(أ) درجة عالية من الإحساس بالمشكلات.
(ب) درجة عالية من الطلاقة اللغوية (الطلاقة اللفظية).
(جـ) درجة عالية من الطلاقة التعبيرية.
(د) درجة عالية من الطلاقة الفكرية.
(هـ) درجة عالية من الأصالة والجدة[10].

ونظراً لأنَّ أغلب تلاميذنا يعانون من عدم اتقان المهارات الأساسية للغة، فإنهم لذلك يعانون فقراً حاداً في الطلاقة اللفظية، وعجزاً كبيراً في الطلاقة التعبيرية، وجموداً في الطلاقة الفكرية.

ويعود الاهتمام باللغة في هذا التصور إلى كون أن اللغة هي وعاء الفكر، وأن السيطرة على اللغة تؤدي إلى الشعور بالثقة في الذات من حيث استيعاب المواد الدراسية. زد على ذلك أن المهارات المتصلة بتعلم اللغة هي في حد ذاتها كثيرة مما تحتاج من الطفل جهداً ووقتاً. إن تعلم اللغة العربية في المرحلة الابتدائية يهدف إلى تنمية المهارات الآتية لدى الطفل:

(أ) القدرة على القراءة.
(ب) القدرة على الكتابة.
(جـ) القدرة على فهم ما يسمع وما يقرأ.
(د) القدرة على التعبير الشفوي والتحريري.
(هـ) القدرة على استخدام القواعد البسيطة في الكتابة والحديث.
(و) القدرة على التذوق الجمالي للنص الأدبي.
(ز) تنميةُ الثروة اللغوية[11].

3 ـ إن قراءة القرآن الكريم وتلاوته في الحلقة الأولى يخلق لدى التلميذ

---

(10) سيد خير الله (علم النفس التربوي) بيروت: دار النهضة العربية، 1981 م.
(11) حامد عبد السلام زهران (علم نفس النمو) الطبعة الخامسة، القاهرة: عالم الكتب، 1982 م.

إحساساً بالتنغيم الصوتي للغة العربية وبالتالي تتعود أذنه وينطبع سمعه لحركات وأصوات اللغة العربية كما تتعدل آلة العود، وينطبع نغم أوتارها على يد عازف حاذق. إنه بدون قراءة القرآن وتلاوته في الصفين الأول والثاني على الأقل من المدرسة الابتدائية لن تتكون لدى التلميذ ملكة الإحساس بجمال اللغة العربية كتابة وتعبيراً وتذوقاً. إن جيل الأربعينات والخمسينات الذي دخل الكتّاب وتعلم فيه تلاوة القرآن الكريم قبل دخوله إلى المدرسة، أو جمع بينهما في وقت واحد، كان جيلاً يتقن مهارات اللغة العربية، ويتذوق التعبير اللغوي بمشاعره وأحاسيسه كما يتذوق لحناً موسيقياً رائعاً. إنه جيل ينظر إلى اللغة العربية باعتبارها حروفاً حية ناطقة. وحتى أولئك التلاميذ الذين كان ذكاؤهم لا يؤهلهم إلى فهم المواد الدراسية كانوا مع ذلك يتقنون مهارات اللغة العربية اتقاناً تاماً وهو ما يؤكد اعتماد تعلم اللغة العربية على تعلم القرآن الكريم.

4 ـ إن المفاهيم الحسابية والعلمية والاجتماعية والقومية والسياسية هي في أغلبها وفي أبسط تعبيراتها عن نفسها هي حالات ذهنية مجردة تتطلب نضجاً معرفياً لا يتوفر لدى تلاميذ الصفين الأول والثاني. وفي نفس الوقت فإن المجتمع في حاجة إلى إكساب هؤلاء الصغار أساسيات هذه الأمور حتى يتعودوا عليها بالتدريج ويبنوا عليها ما يحصلونه مستقبلاً بشأنها عن طريق القراءة والاطلاع المنهجي والذاتي ولذلك فإنه يمكن تلبية هذا المطلب بتقديم الأطفال لأنشطة وألعاب ووسائل تعليمية، وممارسات حسية سلوكية عملية بحيث نجعلهم يمارسون ما نريدهم أن يتعلموه بدون أن نبذل جهداً في غير طائل من أجل شرحه لهم نظرياً.

ثانياً ـ الحلقة الثانية:

وتشتمل على الصفوف الثالثة والرابعة والخامسة، وفيها يلزم أن يحتوي المنهج على المفردات التالية:

1 ـ الاستمرار في اتقان مهارات اللغة العربية وتلاوة القرآن، ولكن بنصف الوقت والجهد الذي كان مبذولاً في الصفين الأول والثاني.

2 ـ البدء في تدريس مبادىء الحساب، وتوجيه قدر كبير لهذه المادة لأهميتها

في استيعاب المفاهيم العلمية الأخرى التي يقوم أغلبها على القياس الكمي.

ولا ينتقل التلميذ من صف إلى الصف الذي يليه إلّا إذا حقق الحد الأدنى من الاتقان لهذه المهارات.

3 ـ تخصيص دروس للقراءة والاطلاع والمشاهدة المباشرة، وعن طريق الوسائل التعليمية، والمناقشة الصفية في تاريخ الأمة العربية المعاصر (وليس التاريخ القديم). والفكر الجماهيري، وكفاح الأمة العربية للتحرر من الهيمنة الأجنبية، وكذلك مدخلاً للعلوم الطبيعية يفتح عيون الطفل على أسرار الكون المادية. وفي هذه المواضيع الأخيرة لا يؤدي التلميذ امتحاناً، ولا تؤثر درجة إنجازه فيها في انتقاله إلى الصف السادس (وهو ما يساوي السنة الأولى من المرحلة الثانية من التعليم الأساسي).

ويعود تأجيل دراسة الطفل لمادة الحساب إلى الصف الثالث لأنه يكون حينئذ قد بلغ عمره تسع سنوات، وأصبح مستعداً إلى حدّ ما من ناحية النضج العقلي للتعامل مع مفاهيم هذه المادة التي تتميز بالتجريد شريطة أن يتم تدريس الحساب له باستخدام مسائل وأمثلة محسوسة أمامه وليس على المستوى المجرد. ذلك أن تفكير الطفل قبل سن التاسعة تفكير غير مجرد إلى حد كبير، أي إنه لا يقوم على أساس استخدام المعاني الكلية، أو الألفاظ المجردة. إنه يستطيع إدراك العلاقة المكانية بين الموضوعات ولكنه لا يستطيع إدراك فكرة العلة والمعلول إدراكاً سليماً وهو ما تقوم عليه العلوم الحسابية[12].

ففي إحدى الدراسات استطاع تلاميذ بدؤوا تعلم الحساب لأول مرة وهم في الصف الخامس أن يتساووا في فهم الحساب مع تلاميذ الصف السابع في العمليات الحسابية، بل وتفوقوا عليهم قليلاً في الاستدلال الحسابي[13].

وفي دراسة أخرى، اختار الباحث عدداً من التلاميذ الذين كانت أعمارهم

---

(12) سيد خير الله، مصدر سابق.

(13) G.Sax and J.Ottina «The Arithmetic Reasoning of Pupils Differing in School Experience». California Journal of Educational Research, 9 (1958): 15-19.

ثلاث عشرة سنة من عدة بلاد. وقد سعت الدراسة إلى معرفة العلاقة بين التحصيل في الحساب وعمر التلميذ عند دخوله إلى المدرسة ولم يجد الباحث أية علاقة بين هذين العاملين على الرغم من أن العينة كانت تتفاوت عامين دراسيين تقريباً. أي إن هناك مثلاً من دخل المدرسة وهو في السادسة وهناك من دخل المدرسة وهو في الثامنة[14].

خاتمـــة

يقوم هذا التصور المقترح لمنهج المرحلة الأولى من التعليم الأساسي على مبادىء قاعدية هي:

1 ـ إن حشو ذهن الطفل بالمعلومات في هذه المرحلة ليس أسلوباً ناجحاً في استيعاب الطفل لهذه المعلومات، ولا يؤدي بالإسراع في تنميته معرفياً. إن النمو يحتاج إلى الاستعداد الطبيعي والتعليم المناسب في وقته لكي يتحقق بكفاءة وثبات.

2 ـ إن إقحام الطفل مبكراً في المدرسة وانغماسه في الأنشطة الكتابية والمقروءة قد يلحق به أضراراً نفسية (الفشل) وأضراراً عضوية (بصرية وعصبية) أكثر من احتمال فائدته من هذا الجهد.

3 ـ إن الجهد الذي يبذله الطفل في التعلم قبل الاستعداد الطبيعي لذلك، والجهد الذي تبذله المعلمات والمعلمون هو جهد ضائع في أغلب الأحيان.

4 ـ إن الأطفال الذين يدخلون المدرسة وهم أبناء سبع سنين على الأقل يكونون أكثر قدرة على الاستفادة من المدرسة الابتدائية.

5 ـ إن الهدف المعرفي الذي يجب أن تسعى إلى تحقيقه المرحلة الأولى من التعليم الأساسي هو تعليم التلاميذ المهارات الأساسية الخاصة بتعليم اللغة العربية، والحساب، وتلاوة القرآن الكريم.

---

(14) T.Husen, Op.Cit.

6 ـ إن الممارسات العملية، والمناقشة الجماعية، والأنشطة التثقيفية الذاتية والجماعية هي أفضل أساليب التدريس في هذه المرحلة لوضع أسس بناء شخصية الطفل في جوانبها القومية والدينية والسياسية والاجتماعية والعلمية والجمالية.

7 ـ إن اللعب والتلقائية والنشاط الذاتي للتلميذ هو أفضل معلم له في هذه المرحلة.

8 ـ إننا في تقرير مناهجنا، واختيار مقرراتنا، وطرق تدريسنا، وهيكلة نظامنا التربوي يجب أن نصوغها بالشكل الذي يتلاءم معنا، ويخدم أهدافنا، وبدون الشعور بالنقص في عدم تقليدنا للدول الأجنبية. إنه بقدر خصوصيتنا القومية والثقافية والسياسية يمكن أن تكون لنا خصوصية مؤسساتنا التربوية والاجتماعية.